المشـــكلة الـكبرى

لا يختلف اثنان فى أن مجلس المعارف قد اهتم ما وسعه الاهتمام بإنشاء المدارس على اختلاف أنواعها ، وتوفير الكتب المدرسية وأدوات التعليم توفيراً يشكر عليه كل الشكر ويحمد عليه كل الحمد ، وكان مجلس المعارف ولا زال والحق يقال ينفق بسخاء وكرم حاتمى فى تنميق مدارسه وتكليف كبار المهندسين فى وضع تصميمها وهندستها .

كل هذا جميل وحسن فنحن فى فترة يسر ورخاء ، بل لا أغالى إذا قلت إننا فى فترة تخمة فى المال فيجب أن تصرف فى وجوه حيوية كإنشاء المدارس والمستوصفات والمستشفيات ورصف الطرق ، لأننا لا نضمن دوام مثل هذه الفترة ، فالمخزون فى أراضينا من البترول لابد أن ينفد إن عاجلا أو آجلا على حد قول الخبراء .

أجل لقد أحسن مجلس المعارف فيما أنشأ من مدارس ، وأجاد فيما وفر من أدوات وكتب مدرسية ، ولكن هناك ناحية لا أظن مجلس المعارف قد وفاها حقها ومشكلة لا أحسب مجلس المعارف قد درسها واهتم فيها اهتماماً يتناسب وتعقيدها وأهميتها ، تلك المشكلة هى مشكلة توفير المدرسين التى يزيدها الزمن تعقيداً على تعقيد واضطراباً على اضطراب .

هل سمعت أيها القارىء العزيز بالمثل الكويتى القائل : « زهب الدواء قبل الفلعة » إن هذا المثل العامى لينطبق تمام الانطباق على وضع التعليم الحالى فى الكويت ، فنحن قد جهزنا المدارس وأقمناها على أحدث طراز دون أن نحسب للمدرسين الذين سيقومون بمهمة التدريس فيها ، بالضبط كمن يجهز الدواء قبل الجرح كما يقول المثل الكويتى السابق وقد يقول قائل إننا نستطيع أن نعتمد على المدرسين الذين نستعين بهم من الأقطار الشقيقة ، وردى على ذلك تثبته التجربة ويعضده البرهان ، فنحن نستطيع الاعتماد على المدرسين من الأقطار الشقيقة إذا كان العدد الناقص قليلا أما أن يكون العدد قد جاوز المائة مثلا . فمن الخطأ أن نقول إننا نستطيع ذلك ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى فالأقطار الشقيقة إن استطاعت الاستغناء عن أبنائها المدرسين فى الوقت الحاضر فإنها لن تستطيع الاستغناء عنهم فى السنوات المقبلة ، وعلى الأخص إذا كان العدد كبيراً . كما لا يفوتنا أن نذكر أن التوفيق لم يكن حليف هؤلاء المدرسين المنتدبين ، فمنذ سنة ١٩٣٦ وهى أول سنة انتدب بها مجلس المعارف مدرسين من الأقطار الشقيقة إلى سنتنا هذه ، أى منذ خمسة عشر سنة ونحن نغير ونبدل فى هؤلاء المدرسين ، فسنة نجلب مدرسين من مصر وسنة من سوريا وسنة من فلسطين وسنة خليطا من هؤلاء وهؤلاء مما يدل دلالة واضحة على أن هؤلاء المدرسين لم يكونوا موفقين فى عملهم ، وليس معنى هذا ـ كما قلت فى مقال سابق ـ إننى أشك فى مقدرة هؤلاء المدرسين أو أطعن فى كفائتهم ، بيد أن ذلك كما أظن راجع إلى اختلاف البيئة وتضارب المناهج واختلاف الأوضاع من بلد لآخر فمما لاشك فيه أن المدرس المصرى يستطيع أن ينتج نتاجاً طيباً فى مصر وكذلك المدرس السورى والفلسطينى فى حين أن نفس هؤلاء المدرسين حين ينتدبون للعمل فى الكويت أو غيرها لا ينتجون كنتاجهم كل فى بلده « بغض النظر عن توفيق بعض الأفراد ، فالعبرة بالمجموع » .

ومجمل القول أننا قصرنا فى التفكير فى مشكلة المدرسين هذه تقصيراً جعلها تكبر وتتعقد ، فقد كان يجب أن نحسب حساب التطور فى التعليم ، والتضخم فى عدد التلاميذ منذ السنين الأولى ، أما الآن فقد وقعنا فعلا فى المشكلة فيجب علينا إذن أن نشحذ الهمم للبحث عن أحسن الحلول فى الوقت الحاضر . ويقينى أن أحسن الحلول وأنجعها هو إرسال البعثات إلى الأقطار الشقيقة لدراسة التربية وأصول التدريس وعلم النفس حتى توفر العدد الكافى لسد هذا النقص المشين .

لماذا لا ترسل إدارة المعارف بعثة إلى المدرسة الريفية فى بغداد كما أرسلت لها من قبل ، إن أعضاء هذه البعثة قد نجحوا وأفادوا الكويت كثيراً . فمنهم الآن نظار لمدارسنا الابتدائية ومدرسون ناجحون . إن عشرة طلاب من خريجى الابتدائية يرسلون إلى المدرسة الريفية كل سنة لن يكلفوا المعارف كثيراً بل سيفيدوها كثيراً جداً ، والتجربة خير برهان فنحن قد جربنا هذه المدرسة فيجب أن نستمر مادامت التجربة قد نجحت .

ثم لماذا لا ترسل إدارة المعارف بعثة أخرى مماثلة إلى مصر ، وأخرى إلى بيروت ، على شرط أن يتخصصوا فى دراسة التربية وأصول التدريس لا أن يترك لهم الاختيار .

لاأشك أننا إذا طبقنا هذه الفكرة ونفذناها فلن تمضى أربع سنوات أو خمس إلا وقد توفر لنا عدد كبير من المدرسين الفنيين يسدون ذلك النقص ويحلون هذه المشكلة

لقد شعرت البلاد العربية هذا اليوم بضرورة التعليم ، لهذا بذلت كل الجهود لكى تصل ببلادها إلى المستوى اللائق بها بين الأمم المتحضرة ، فإن استغنت اليوم عن أبنائها المدرسين فلن تستغنى عنهم غداً ، فهل معنى هذا أن نغلق هذه المدارس المنشأة ونسرح مافيها من تلاميذ إلى الشوارع أم نضع فيها مدرسين ليس لهم المؤهلات التى تمكنهم من القيام بهذه المهمة الشاقة ؟

إن التدريس رسالة كريمة فالمدرس مثال يحتذى وهو الذى على يديه يتوقف مصير أجيال هذا البلد الكريم ، لهذا وجب أن يكون هذا المدرس متين الأخلاق ، طيب السمعة ورحم الله أمير الشعراء حين قال :

قم للمعلم وفه التبجيـــلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أرأيت أشرف أو أجل من الذى
يبنى وينشىء أنفساً وعقولا

صدق والله شوقى فيما قال ، فليس أشرف من الذى يبنى عقولا ، ولا أجل من الذى ينشىء أنفساً ، لذلك وجب علينا الاهتمام كل الاهتمام بإيجاد المدرس الصالح والمربى القدير لنصل إلى الهدف الذى نرمى إليه والوسيلة التى نتمكن بها من الوصول إلى الهدف والغاية المنشودة ؟

جاسم عبد العزيز القطامى